في حافة الطريق

أحمد وجدي

حين تصبح الحافة شاهدةً على الحكاية، يبدأ الصراع الحقيقي.

في حافة الطريق.....

لماذا أنا؟ لماذا كل هذا الثقل فوق صدري؟ لماذا كل الطرق تؤدي إلى نفس الفراغ؟

كان الصوت في رأسه أشبه بطلقات رصاص، متوالية، بلا توقف.

عيناه مفتوحتان بالكاد، ووجهه ملتحم بالرمال الباردة التي التصقت بشفتيه الجافتين. تنفسه متقطع، وأذناه تلتقطان همسات الموج وهو ينكسر قريبًا منه.

«انهض... لا وقت للانهيار.»

رفع رأسه ببطء، بالكاد يستطيع تمييز مصدر الصوت. لم يكن هناك أحد، سوى البحر الممتد أمامه، والغيوم التي تتحرك بكسل على صفحة السماء.

حاول أن يجيب، أن يصرخ، يسأل «من أنت؟»، لكن صوته خذله.

التفت ببطء، لكن لم يكن هناك أحد. فقط آثار أقدام خفيفة على الرمال، سرعان ما محتها الأمواج.

ظل للحظة محدقًا في الفراغ، ثم، بلا وعي، جلس مجددًا على الرمال، وهو يطلق زفيرًا ثقيلاً. نظر إلى البحر الممتد أمامه.

ظَل يتأمل الغيوم وهي تتلاشى ببطء على سطح البحر في لحظات الغروب.

كانت الأمواج تحطم الصخور بلطف، لكنها لم تهدئ اضطراب نفسه. منذ أشهر، يعيش مراد حياة رمادية؛ كل شيء حوله كان يبدو خاوياً من أي معنى.

تتردد داخله تساؤلات لا تنتهي: ما الذي يحدد مسار الإنسان؟ هل نحن مجرد دمى تُسيرها الأقدار، أم أن لدينا حرية في مواجهة مصيرنا؟

بدأت تلك الأفكار تتفاقم في رأسه منذ أن فقد وظيفته فجأة، وتركته زوجته بدون سابق إنذار. كل ما بناه انهار في لحظة. لكنه لم يعد يهتم. كل ما يفعله الآن هو السير بلا هدف، يفكر ويغوص في أعماق نفسه المظلمة.

كان الليل قد بدأ يزحف ببطء، وتلاشى ضوء الشمس خلف الأفق.

سحب سيجارة من جيبه، وأشعلها بيد مرتجفة. بينما كانت الأنفاس الأولى من الدخان تملأ رئتيه، شعر بشيء غريب؛ كأن شيئاً ما يراقبه.

بينما كان ينفث دخان سيجارته، لاحظ بطرف عينيه ظلًا يتحرك بالقرب منه، دون صوت، ودون حضور واضح.

التفت ببطء، وحينها رأى رجلاً غريبًا يقف على مسافة قصيرة منه، ينظر إلى الأفق بذات العينين الهاربتين من الزمان والمكان.

كان ذلك الرجل يرتدي معطفًا أسود طويلًا بدا أنه مضى عليه زمن طويل.

ابتسم الرجل ابتسامة صغيرة لم تصل إلى عينيه، وتحدث بصوت هادئ وكأنه يعرف ما يدور في ذهن مراد:

«الأمواج لا تسأل عن مصيرها، تُضرب بالصخور وتعود... لا تعرف إلى أين ستنتهي.»

صمت مراد للحظة، محتارًا بين أن يستجيب أو أن يتجاهله.

لكنه شعر بشيء غريب في كلمات الرجل، كأنها لم تكن مجرد جمل عابرة.

«وماذا عنّا؟ هل نحن مثل الأمواج؟ هل نحن أيضًا نُضرب بالصخور، ولا نملك أي قرار في مصيرنا؟»

رفع الرجل نظره إلى السماء المظلمة، وقال بنبرة مليئة بالشك:

«ربما. وربما نكون أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير. أنت، على سبيل المثال، تشعر الآن أنك ضائع، بلا هدف، أليس كذلك؟»

تفاجأ مراد من دقة الوصف. كيف عرف؟ من هو هذا الرجل الغريب؟

«من أنت؟ وكيف تعرف ما أشعر به؟»

ابتسم الرجل ابتسامة أوسع، وقال:

«أنا؟ لست إلا جزءًا من تلك الأوهام التي كنت تراقبها طوال حياتك. ربما كنتُ هنا دائمًا، لكنك لم ترني حتى الآن. في داخلك، يا مراد، تدور معركة لا تشعر بها. معركة بين من كنتَ، ومن تريد أن تكون، وبين ما تراه قدرك وما تحاول الهروب منه.»

شعر مراد بتوتر يتزايد داخله. كيف يمكن لهذا الغريب أن يتحدث عن صراعاته الداخلية بهذا الوضوح؟

اقترب الرجل ببطء وجلس بجانبه على الرصيف، وقال بصوت أكثر عمقًا:

«هناك دائمًا خيار، لكن السؤال الحقيقي هو: هل لديك الشجاعة لتختار؟ أم أنك ستظل، كما أنت الآن، تراقب الشمس وهي تتلاشى دون أن تحرك ساكنًا؟»

ترك مراد سيجارته تسقط في البحر وهو يحدق في الرجل، مدركًا أن هذا اللقاء ليس صدفة.

حدّق مراد في الرجل الغريب، كانت عينيه الغامضتين تعكسان شيئًا، كأنهما نافذة على عوالم أخرى. شعر بشيء يضغط على صدره، خليط من الفضول والخوف.

كلمات الرجل كانت تتغلغل في نفسه كأنها رسائل مخبأة بين السطور، تداعب أفكاره المضطربة.

«وماذا يجب أن أختار؟»

لم يبتسم الرجل هذه المرة، بل اتسعت عيناه قليلاً وكأنه يزن قيمة السؤال. ثم قال بصوت عميق:

«هناك طريقان دائمًا. إما أن تعيش في أسر الظلام، تائهًا بلا هدف كما أنت الآن، أو أن تواجه مخاوفك، أن تغوص في أعماق المجهول حتى تجد الحقيقة. لكن... كن حذرًا. الحقيقة ليست دائمًا كما تتوقع، وقد تقودك إلى أماكن لم ترغب أبدًا في الوصول إليها.»

شعر مراد أن قلبه ينبض بشدة.

من هذا الرجل حقًا؟ وكيف يعرف كل هذه التفاصيل عن حياتي وكوابيسي؟

«وماذا لو اخترت أن أواجه؟»

سأله مراد، لكنه لم يكن متأكدًا مما يعنيه بسؤاله.

«هل يعني ذلك نهاية هذا الضياع؟»

تحرك الرجل ببطء، وسحب من جيبه ساعة جيب قديمة. فتحها ونظر إلى عقاربها وقال:

«الوقت لا ينتظر يا مراد، والتأجيل هو أعظم قاتل للأرواح. أنت الآن في مفترق طرق. قراراتك، مهما كانت صغيرة، ستحدد مصيرك. ليس فقط مصيرك، بل مصير من حولك.»

كانت كلماته غير واضحة، بدت كأنها تحذير من شيءٍ آتٍ.

شعر مراد أن الأمور تتعدى مجرد لقاء صدفة على شاطئ مهجور. هناك شيء أكبر يحدث هنا، شيء لا يستطيع فهمه تمامًا، لكنه كان يدرك أن هذه اللحظة حاسمة.

سأل مراد أخيرًا، بشيء من العجز.

«كيف لي أن أبدأ؟»

كان الصمت يسيطر عليه، لم يعد قادرًا على التمييز بين ما هو واقعي وما هو محض خيال.

اقترب الرجل منه، ورمقه وقال:

«يجب أن تعود من حيث بدأت. إلى أول نقطة في حياتك شعرت فيها بأنك تائه.

هناك ستجد الإجابات. لكن حذارِ، هذا الطريق محفوف بالمخاطر، وستواجه أشياء لن تُصدّقها. ستكتشف أن الأمواج ليست فقط على سطح البحر، بل هي في أعماق روحك.»

شعر مراد ببرودة تسري في عروقه، لكنه لم يكن متأكدًا ما إذا كانت البرودة ناتجة عن كلمات الرجل أم من شيءٍ في داخله.

ثم وقف الرجل، ونظر إلى مراد نظرة أخيرة قبل أن يختفي:

«ابحث عن البداية، قبل أن تفقد القدرة على الاختيار.»

جلس مراد في مكانه، يحاول استيعاب ما حدث للتو.

هل كان هذا حقيقيًا؟ أم أنه مجرد خيال نابع من عقله المتعب؟

ومع ذلك، كان هناك شيء واحد واضح: الكلمات الغامضة التي قالها تركت أثرًا عميقًا فيه. شيء ما في داخله تغير في تلك اللحظة.

للمرة الأولى منذ شهور، شعر برغبة قوية في التحرك، في البحث عن تلك البداية التي تحدث عنها الرجل، لكنه كان يعلم أن هذا القرار سيأخذه إلى أماكن مجهولة، إلى مواجهة مع ذاته التي طالما تهرب منها.

نهض ببطء، وألقى نظرة أخيرة على البحر، كان الليل قد ابتلع كل شيء تمامًا، لم يعد هناك أي ضوء.

بينما كان يسير في الشوارع الضيقة، شعر بتلك الغرابة تعود إلى نفسه مجددًا. شيء ما كان يدفعه للاستمرار. وبينما كان يتنقل بين الأزقة المظلمة، توقف فجأة عندما لمح نورًا خافتًا ينبعث من زقاق ضيق بالكاد يمكن ملاحظته.

لم يكن لديه سبب للدخول، لكنه شعر بدافع لا يمكن تفسيره.

سار باتجاه الضوء، وعندما اقترب، لاحظ بابًا خشبيًا قديمًا مفتوحًا جزئيًا، ومن خلفه، ارتفع صوت موسيقى ناعمة تأتي من الداخل.

تردد للحظة، لكن الفضول تغلب عليه، فدفع الباب ببطء ودخل.

الداخل كان غير متوقع. كانت الغرفة مضاءة بعدة شموع، وأمام طاولة مستديرة يجلس ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس قديمة الطراز.

لم يبدوا مندهشين لرؤيته، بل رفع أحدهم رأسه ببطء ونظر إليه نظرة عميقة.

«كنا ننتظرك.»

قال الرجل الذي كان يجلس في الوسط. كان يرتدي عباءة سوداء ويضع قبعة عتيقة، وعيناه تلمعان ببريق غامض.

«تنتظروني؟»

تلعثم مراد، وقد ارتجف صوته بشكل غير متوقع.

«من أنتم؟»

«لسنا المهمين هنا، أنت هو من يجب أن يعرف من أنت.»

جلس مراد دون أن يدعى للجلوس. نظرات الأشخاص الثلاثة كانت تلاحقه، وفي تلك اللحظة شعر بشيء غريب، كأن تلك الشخصيات لم تكن موجودة في هذا العالم فعليًا، بل كانت تمثل شيئًا أعمق من مجرد وجود مادي.

«أين البداية؟»

أخذت المرأة الوحيدة بين الجالسين نفسًا عميقًا، ثم قالت بصوت ناعم مليء بالغموض:

«البداية ليست مكانًا، هي لحظة. لحظة يتخذ فيها الإنسان قرارًا.»

تقدم الرجل الذي كان في الوسط إلى مراد وأخرج من جيبه مرآة صغيرة. قال له بهدوء

«انظر هنا، سترى الإجابة.»

شعر مراد بتردد، لكن يده امتدت نحو المرآة بلا وعي.

حين نظر فيها، رأى نفسه، ولكن ليس كما هو الآن. رأى نسخة أصغر منه، تائهة في زمن مضى، واقفة في مكان مظلم، تمامًا كما هو الآن.

كانت تلك اللحظة هي عندما فقد مراد إحساسه بالحياة، عندما استسلم للفشل والخوف.

قال الرجل :

«هل تذكر تلك اللحظة؟ حينها اخترت أن تهرب من مصيرك.»

لم يستطع الرد. الحقيقة كانت واضحة أمامه كالشمس، لكن إدراكه كان موجعًا.

كان كل شيء يعود إلى تلك اللحظة، اللحظة التي تخلى فيها عن مواجهة الحياة واختار أن يختبئ من نفسه.

سأله الرجل الأصغر سنًا بنبرة مريبة.

«هل يمكنك أن تعود إلى هناك وتغير قرارك؟ أم أنك ستترك نفسك تائهًا في دوامة الأسئلة؟»

وفجأة، انفتح الباب بعنف ودخل رجل غريب المظهر، عيناه كانتا تلمعان بغضب حاد.

صاح بصوت عالٍ.

«توقفوا، لا حق لكم في إغواءه أكثر!»

كان الرجل ذو هيبة وجسد قوي، يبدو وكأنه خرج من معركة للتو.

أمسك مراد من كتفه وقال له:

«اسمعني جيدًا يا مراد، هؤلاء ليسوا ما يبدون عليه. كل ما يفعلونه هو اختبارك، يفتحون لك الأبواب المظلمة ليروا إذا كنت ستسقط فيها، لا تصدق كل ماتراه.»

سأله مراد وقد اختلطت المشاعر في قلبه بين الخوف والدهشة.

«من أنت؟»

«أنا ما تبقى منك، كنت هنا طوال الوقت، لكنك لم ترَني لأنك غارقًا في ظلامك.»

تراجعت الشخصيات الثلاثة إلى الخلف، وكأن وجود هذا الرجل أثار خوفًا عميقًا فيهم. لكن المرأة الوحيدة بينهم ضحكت ضحكة باردة وقالت:

«النور والظلام وجهان لعملة واحدة. لا يمكن لأحدهما البقاء دون الآخر.»

استدار الرجل إلى مراد وقال له:

«القرار لك الآن. ستستمر في الاستماع لأصواتهم أو ستقرر بنفسك؟»

حدّق مراد في الرجل، وكانت عيناه تتقدان بنور غريب، نقي، كأنه شعاع من أمل تائه في دوامة الظلام التي اجتاحته.

«القرار لك الآن».

كل شيء بدا وكأنه نقطة حاسمة في حياته. تلك الشخصيات الغامضة كانت تراقب، تنتظر، وكأنهم على أعتاب معرفة ما سيختار.

«كيف لي أن أقرر؟»

«ليس الأمر في التردد يا مراد، الأمر في الفعل. تذكر، الظلام لا يتراجع إلا عندما تسير نحوه بخطى ثابتة. لا تنتظر من أحد أن يرشدك، هذا الطريق لك وحدك.»

شعر بحيرة عظيمة في داخله، لكنه أيضًا شعر بشيء مختلف؛ قوة بدأت تتسلل إلى روحه، رغبة في الخروج من الدوامة التي أوقع نفسه فيها.

الشخصيات الثلاثة ما زالت تراقب، ينتظرون لحظة الضعف الأخيرة لتكبلهم الفرصة.

ثم تقدمت المرأة نحو مراد بخطى بطيئة وثابتة، عيناها تلمعان بمكر مخيف.

«مهما فعلت لن تستطيع الهروب منّا، نحن جزء منك، نعرف كل شيء عنك... أسرارك، أخطاءك، مخاوفك العميقة. من تعتقد أن بوسعه أن يخلصك منا؟»

تراجعت قليلاً، كأنها واثقة من أن كلماتها أثارت شيئًا مظلمًا في داخله.

شعر بأن هذا الصراع أعمق من مجرد قرار بين النور والظلام، كان يتعلق بمواجهة كل ما هرب منه طوال حياته. تلك اللحظات التي استسلم فيها، تلك القرارات التي تركها خوفًا من الفشل أو الحقيقة، كلها باتت الآن على المحك.

«أنا لست خائفاً منكم، لطالما كنت أسيرًا لمخاوفي. حان الوقت لأتحرر.»

عندها فقط، انفجر الرجل القوي الذي دخل الغرفة سابقًا بابتسامة مليئة بالثقة.

«هذا هو مراد الذي كنت أعرفه يومًا. الآن نحن نتحدث.»

كل شيء بدأ يتغير. الجدران التي كانت تحيط بالغرفة بدأت تنهار، وانكشف عن سماء مظلمة ممتدة بلا نهاية.

«ماذا يحدث!»

«ما تراه هو عالمك الداخلي. الظلام التي كنت تخشاه، النور الذي كنت تبحث عنه، كل شيء هنا الآن بانتظارك. كل ما عليك فعله هو مواجهة نفسك.»

في تلك اللحظة، ظهرت شخصية جديدة، شبحية الشكل، تقف في الظلام بعيدًا. كانت تمثل مراد نفسه في أسوأ حالاته، تقدمت ببطء، وتحدثت بصوت يشبه صوت مراد، لكنه أكثر برودة.

« ماضيك. كل خطأ ارتكبته، كل لحظة ضعف، ستكون دائمًا جزءًا منك.»

شعر بثقل عظيم يجثم على صدره، لكنه لم يكن نفس الشخص الذي دخل هذه الغرفة قبل لحظات.

الآن، كان يعرف أن هذه اللحظة هي لحظة الحسم. واجه الشبح بثبات وقال:

«نعم، لقد ارتكبت الأخطاء، وخفت من مواجهتها، لكنني لست عبدًا لها. سأستخدم كل ألم وكل فشل لأكون أقوى، هل تسمعني؟ أستطيع مواجهة كل شيء.»

توقف الشبح فجأة، وكأن الكلمات اخترقت كيانه. وبدأ يتلاشى ببطء.

وضع الرجل القوي، الذي كان يقف خلفه طوال الوقت، على كتفه مره أخرى وقال:

«لقد فعلتها. لقد اخترت النور، ليس لأنك خائف من الظلام، ولكن لأنك مستعد لمواجهته.»

وفي تلك اللحظة، انقلب العالم حول مراد مرة أخرى، وعاد إلى الشارع الضيق الذي بدأ فيه كل شيء.

كانت السماء لا تزال مظلمة، لكن لم يعد هناك خوف يحيط به. كان يعرف أن النور والظلام سيبقيان دائمًا جزءًا منه.

ابتسم مراد لأول مرة منذ شهور، واستدار ليكمل طريقه.

بينما كان عبر الشارع المظلم، شعر بأن شيئًا ما لم ينتهِ بعد.

نعم، لقد واجه شبح نفسه القديم، لكنه كان يعلم أن الظلام الذي يطارده لم يكن بهذا البساطة، وأن الصراع لم يكن بين الخير والشر فقط.

ما زالت هناك خيوط معقدة لم تظهر بعد. كان هنالك شعور غريب يتسلل إلى أعماق روحه.

فجأة، توقفت خطواته عندما سمع صوتًا آخر يتردد من خلفه، صوت خفيف لكنه مرعب. التفت ببطء، ليجد رجلاً آخر يقف في الظلام، كان غارقًا في العتمة، ولا يظهر منه سوى عينين تشعان بالشر.

لم يكن كالآخرين، كان حقيقيًا، وأقرب إلى الخطر الفعلي.

قال له الرجل بصوت بارد.

« أنت تظن أن كل شيء انتهى، أليس كذلك؟ لكن الحقيقة أنك بدأت فقط السير في طريق لا رجعة منه.»

سأله مراد، وصوته كان يحمل خوفًا حقيقيًا لأول مرة منذ مواجهة ذاته.

»من أنت؟«

ابتسم الرجل بسخرية، واقترب بخطى ثابتة.

«أنا لست مثل الآخرين. لا أنتمي إلى عالم الظلام، ولا إلى عالم النور. أنا القوة التي تحرك الجميع. هل تظن حقًا أن القرار لك؟ أن اختيارك يمكن أن يغير شيئًا؟»

شعر مراد بأن الرجل أمامه ليس مجرد إنسان. كان هناك شيء غير طبيعي في وجوده.

« كل تلك المواجهات التي مررت بها، كل تلك الأسئلة التي طرحتها على نفسك... كلها كانت لعبة صغيرة، أنت جزء من شيء أكبر، شيء لا يمكنك فهمه. ما ظننته نهاية هو في الحقيقة «مجرد البداية.»

بدأت السماء فوق مراد تتحول إلى لون داكن أكثر، كان هناك صوت يشبه الهمسات يملأ المكان، وكأن آلاف الأرواح تتحدث في نفس الوقت.

« ما الذي تريده مني؟»

ابتسم الرجل مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت ابتسامته مليئة بالخبث.

« أنت لا تفهم. الأمر ليس بما أريده منك، بل بما تريده أنت. الحقيقة أنك تبحث عن شيء أكبر من مجرد الإجابات السطحية. أنت تريد السلطة... تريد القوة التي تجعلك تتحكم في مصيرك، أليس كذلك؟"

شعر مراد بالدوار، استطاع هذا الرجل أن يقرأ أعمق رغباته. الحقيقة أنه في كل ما مر به، لم يكن يبحث فقط عن الهروب من الظلام، بل عن شيء أعمق، عن قوة تحرره من كل شيء، حتى من نفسه.

« أستطيع أن أريك الطريق، لكن الطريق الذي سأقدمه لك ليس طريقًا يعود منه أحد.»

لم يعد هناك فرق بين الواقع والخيال. كان كل شيء يتلاشى، تاركًا مراد وحيدًا في عالم بلا معنى.

«إما أن تختار البقاء في الظلام الذي تعرفه، أو تسير في النور الذي قد يحرقك.»

نظر مراد إلى اليد الممتدة نحوه، وشعر بوزن القرار الذي كان عليه اتخاذه. لم يكن هذا مجرد خيار بين الظلام والنور، بل كان عن وجوده بالكامل.

هل يستمر في البحث عن القوة والسيطرة، أم يواجه حقيقة أنه قد لا يكون هناك إجابة شافية لكل شيء؟

في النهاية، مد يده ببطء، وكاد أن يلمس يد الرجل، لكنه تراجع فجأة، واستدار بسرعة ليهرب بعيدًا.

خطواته كانت سريعة، لكن عقله مشوش، يدور في دوامة لا نهاية لها.

بينما كان يركض، شعر بأن كل شيء حوله قد أصبح مشوشًا، وكأن العالم الذي عرفه ينتهي.

بينما كان يركض بسرعة جنونية محاولًا الهروب من هذا الرجل الغامض، بدأت الأرض تحت قدميه تتشقق بشكل مخيف، كانت على وشك أن تبتلعه. صرخاته لم تجد صدى في هذا الفراغ الذي لا ينتهي.

بدأت الجدران من حوله تتداعى، وانقسمت السماء إلى شظايا من الظلام، بينما ارتفعت أصوات غريبة، مثل همسات شريرة تملأ الهواء.

وفجأة، ظهر الرجل مجددًا أمامه دون سابق إنذار، ولكن هذه المرة كان وجهه مشوهًا بشكل مرعب. عيناه اللتان كانتا تلمعان ببرود، تحولتا إلى فجوتين فارغتين لا تُظهران سوى العدم. مد الرجل يده مرة أخرى نحو مراد، لكن هذه المرة لم يكن هناك خيار.

شعر مراد وكأن الهواء قد اختفى، وبدأ جسده يتهاوى في فراغ لا حدود له. كانت صرخاته مكتومة، وكلما حاول الهروب، كان السقوط أسرع وأعمق. في تلك اللحظة، سمع همسة أخيرة من الرجل الغامض:

«لا أحد يستطيع الهروب من مصيره... لا أحد»

ثم فجأة، وبينما كان يغرق في الظلام ، سقط على سطح صلب بشكل عنيف. كان الألم الحقيقي لأول مرة منذ بداية هذه الرحلة المرعبة.

فتح عينيه بشهقة، ووجد نفسه في غرفته المظلمة.

كان جسده غارقًا في عرق بارد، وأنفاسه متسارعة، كأنه كان يركض فعليًا لعدة ساعات.

الضوء الخافت القادم من نافذة الغرفة أكد له أنه ما زال في الليل، وأن ما عاشه كان مجرد كابوس.

جلس على سريره، محاولًا استيعاب ما حدث. قلبه كان يخفق بعنف، وكأن الكابوس لم يكن مجرد حلم بل كان انعكاس لشيء أعمق في داخله.

وضع يده على جبهته المرتعشة، وبدأ يستعيذ بصوت خافت:

)«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.»

أدرك أخيرًا أنه كان في حلم، لكنه لم يكن حلمًا عاديًا.

شيء ما في داخله كان قد تحرك، فكرة مظلمة كانت تتغلغل في وعيه، تذكره بأن الصراعات التي عاشها في الحلم ليست بعيدة عن صراعاته الواقعية.

جلس على حافة سريره، مشوشًا ومضطربًا، وكأن روحًا من اليقظة بدأت تتسلل إلى أعماقه. كانت الأفكار تتلاطم في عقله كأمواج عاتية على شاطئ مهجور، تصرخ وتندب، بينما كان يحاول فهم تلك الرموز الغامضة التي عرضها عليه كابوسه.

كان واضحًا أنه لم يكن مجرد خيال عابر، بل كان صدى لصراعاته الداخلية، ونداءً لمواجهة واقعه المؤلم.

أخذ نفسًا عميقًا، وحاول أن يستجمع أفكاره.

«لم يكن ذلك الحلم محض صدفة، بل هو إنذار. إنذار من داخلي بأنني لا أستطيع الاستمرار في الهروب من أعبائي، من ظلامي»

فكر في الرجل الغامض الذي رآه في حلمه، ذاك الشخص الذي كان يمثل القوة والسلطة، لكنه في الوقت نفسه كان يمثل خوفه من الفشل.

كان يعي أن صراعه لم يكن مع شخص خارجي، بل كان مع ذاته. إن كل ما رآه في حلمه كان تجسيدًا لما يجري في داخله، تلك القيم المتضاربة التي تكاد أن تفتك بروحه.

«لكن كيف يمكن للمرء أن يواجه هذه المخاوف؟ كيف يمكن للإنسان أن يحرر نفسه من قيود الظلام التي تلاحقه؟»

تساءل، وبدأ يسترجع تفاصيل حياته. فقدان وظيفته، وانفصال زوجته عنه، وجاءت تلك الأحداث متتابعة كعواصف في سماء قاتمة. لكن ما لم يكن يدركه هو أن تلك العواصف كانت، في عمقها، تجارب حياة مهمة، دروسًا في القوة والإرادة.

وفي تلك اللحظة، قرر أنه بحاجة إلى تغيير جذري. لم يكن كافيًا أن يقضي وقته في الحلم أو الهروب.

كان عليه أن يواجه واقعه، أن ينظر في عيني الظلام، وأن يصرخ بصوت عالٍ:

«لا! لن أكون عبدًا لظلامي بعد الآن.»

نهض من سريره وأخذ خطوة نحو نافذته. الفجر كان قد بدأ يشق طريقه من بين الظلام.

شعر بضياء الشمس يلامس وجهه، وكأن الحياة تعيد له شيئًا فقده. لم يكن لديه أدنى فكرة عن ما سيحدث، لكنه كان مستعدًا للمواجهة.

«الأمر ليس سهلًا لكن لا بد لي من التحرك، لا بد لي من أن أواجه تحدياتي، وأن أبحث عن المعنى وسط الفوضى.»

وهكذا، قرر أن يخرج إلى الشارع. كان كل شيء حوله قد تغير. الناس كانوا يسيرون بحيوية، كانت الحياة تتدفق كالنهر، وعلى الرغم من كل آلامه، شعر بشيء جديد يتشكل في داخله.

عزم على البحث عن عمل جديد، وعزم على إعادة بناء نفسه من جديد.

وفي تلك اللحظة، تجسدت الحكمة التي استشعرها في حلمه:

«القوة لا تكمن في الهروب من الألم، بل في مواجهة الألم وتحويله إلى دروس.»

بينما كان يسير في الشارع، بدأت الحياة تعود إليه خطوة بخطوة. كانت الأفكار تتدفق في ذهنه، وعزيمته تزداد قوة. لكن بينما كان يعبر من أمام أحد المقاهي، رأى شيئًا جعله يتوقف عن السير.

هناك، في زاوية المقهى، كانت طليقته "ليلى" تجلس مع مجموعة من الأصدقاء، ضاحكة ومبتهجة، وكأن عالمها قد استمر بلا انقطاع. رأى ابتسامتها، لكن في عينيها كان هناك بريق يثير ذكرياته، تلك الذكريات التي ظن أنها قد طُويت.

كانت تلك اللحظة كالسيف الذي يخترق قلبه؛ آلام الماضي عادت لتستحضر كل مشاعر الخسارة والندم.

اقترب منها بحذر. كانت المفاجأة في عينيها واضحة عندما لاحظته، لكن ما كان يدهش مراد هو شعور الغضب الذي تملكها.

قالت له بصوت مرتفع، وتوقفت الضحكات حولها.

«ما الذي تفعله هنا؟»

«أردت فقط... أن أراكِ، أحتاج أن أتحدث.»

«تريد التحدث؟ بعد كل ما حدث؟»

لم يكن لديه رد، فقط شعور بالذنب.

سألته عينيها عن شيء أعمق، كما لو كانت تريد معرفة ما إذا كان قد تغير.

«ألم تتعلم شيئًا؟»

«لقد رأيت أشياء... في حلمي. أدركت أنني كنت أهرب، وأحتاج إلى مواجهة نفسي، مواجهة كل ما كنت أفعله.»

عينه كانت تبحث في عينيها عن رد لما قاله.

أحست ليلى بشيء من الضعف في كلماته، لكن كان هناك أيضًا شعور بالحنق.

«مراد، ما حدث لم يكن مجرد هزيمة. لقد كانت نهاية. لا أستطيع العودة إلى الوراء.»

لكنه لم يستطع الصمت بعد.

«أعلم ذلك. لكني هنا لأقول إنني أريد أن أبدأ من جديد. أريد أن أتعلم من أخطائي. لقد أدركت أنني بحاجة إليكِ لأكون أفضل.»

وفي تلك اللحظة، تضاربت مشاعر الغضب والحب، الحزن والأمل، في قلب ليلى. كانت الدموع تلمع في عينيها، وبدت كأنها تعاني من صراع داخلي.

«لا يمكن أن تعود الأمور كما كانت، قد يكون الأوان قد فات.»

«لكنني أريد أن أحارب لأجلك، ولنفسي، لا أريد أن أكون ضحية الظروف. أريد أن أكون قويًا.»

أخذت ليلى نفسًا عميقًا.

«لا أعلم إن كنت مستعدة لذلك، لكني سأكون هنا، وسأسمعك.»

كان الشارع مليئًا بالضجيج، لكن مراد شعر وكأن الزمن قد توقف، وأن كل شيء يدور حولهما فقط.

«أعدكِ ليلى، سأعمل بجد لأثبت لك أنني قد تغيرت.»

ابتسمت بحذر، وكأنها ترى في عينيه شيئًا جديدًا، شيئًا قد يكون بداية جديدة.

«لا أستطيع أن أعدك بشيء، لكنني سأمنحك فرصة.»

بينما كانا يتحدثان، بدأت الذكريات المؤلمة تعود إلى ذهنه. كانت هناك لحظات جميلة، لكن أيضًا كانت هناك صراعات قاسية أدت إلى انفصالهما.

"أتذكرين يوم التقينا لأول مرة؟ كنتِ تضحكين في تلك الحديقة، وكنت أشعر أنني أرى الحياة من خلال عينيك.»

ابتسمت ليلى، لكن سرعان ما اختفت الابتسامة.

«نعم، لكن ذلك كان قبل أن يتغير كل شيء. عندما فقدت وظيفتك، لم تعد الشخص الذي كنت عليه. تحولت إلى شخصٍ آخر، وبدأت ألومك على كل شيء. شعرت أنك لا تفهمني.»

أومأ مراد برأسه، واعترف:

«كنت أهرب من مشاعري، من المسؤوليات. كنت أعتقد أنني يمكنني تجاوز كل شيء بمفردي. لكنني كنت مخطئًا. لم أدرك أنني كنت أتجاهل احتياجاتك، احتياجات علاقتنا.»

قالت له ليلى، وكانت عيناها تلمعان بالدموع.

«كانت لديك أحلام، لكنك تركت الضغوط تأكلها. كنا بحاجة إلى التواصل، لكن كل ما فعلته كان الابتعاد. وفي النهاية، لم يكن هناك سوى الصمت الذي يملأ الفراغ بيننا.»

استشعر مراد ذلك الألم، وتذكر كيف بدأ اليأس يتسلل إلى حياتهما.

«أعتذر عن كل ما فعلته، عن كل اللحظات التي تركتك فيها وحدك. لم أكن أدرك أنني كنت أدمركِ ببطء.»

تجمدت ليلى لبرهة.

«أنا أيضًا أخطأت. لم أفكر في مشاعرك، بل كنت أركز على آلامي فقط. لكن ما حدث كان أكثر من مجرد سوء تفاهم. كنت في أزمة حقيقية، ورغم كل ذلك لم نتمكن من التواصل.»

«لكننا هنا الآن. يمكننا البدء من جديد. لا أريد أن أترك شيئًا آخر يتلاشى بيننا.»

لكن ليلى كانت مترددة.

«لقد تأذيت يا مراد. قلوبنا تحمل جروحًا عميقة. هل يمكن أن نكون قادرين على شفاء هذه الجروح؟»

قال لها مراد، وعزيمته تتجلى في نبرته.

«لن نعرف إلا إذا جربنا، إذا استمرينا في العيش في الماضي، سنبقى أسرى له. نحن بحاجة إلى مواجهة المخاوف والمضي قدمًا.»

تراجعت ليلى خطوة إلى الوراء، ووضعت يديها على قلبها.

«لكن ماذا لو فشلنا مرة أخرى؟ ماذا لو عدنا إلى النقطة نفسها؟»

«كل تجربة، سواء كانت ناجحة أم فاشلة، تعلمنا شيئًا. الحياة ليست خطًا مستقيمًا، بل هي سلسلة من الدروس. دعينا نتحلى بالشجاعة لنواجه مخاوفنا معًا.»

ببطء، بدأت تشعر بشيء من الأمل، لكنها كانت تحارب شعور الخوف الذي سيطر عليها.

«حسنًا، دعني أراك تعمل من أجل ذلك. لكني لن أعدك بشيء. سأحتاج إلى وقت.»

«هذا كل ما أحتاجه. فرصة واحدة لأثبت لك أنني قد تغيرت.»

استمرت المحادثة بينهما، حيث بدأ كل منهما في كشف مشاعره العميقة، وأفكاره التي طالما تم دفنها. كانت الكلمات تتناثر بينهما بصدق لم يشعروا به من قبل.

فجأة، نظر إلى الساعة في معصمه، ثم نظر إلى ليلى وقال:

«أعتقد أنني يجب أن أذهب الآن، لكننا سنتقابل قريبًا.»

نهض ببطء، مغادرًا المقهى دون أن ينظر خلفه.

كان هناك شعور غريب في صدره، مزيج من الراحة والقلق. كل خطوة كانت تقوده بعيدًا عن ليلى، ولكن أيضًا كانت تقوده إلى ذاته، إلى ما يحتاجه ليكتشفه بعيدًا عن هذه العلاقة المربكة.

في طريقه إلى منزله، شعر بفراغ غريب يملأ صدره. دخل شقته، وأغلق الباب خلفه بهدوء. تجول قليلاً داخل الغرفة، ثم ذهب إلى المطبخ لصنع فنجان قهوة آخر.

كانت رائحة القهوة في الهواء تدعوه إلى السكون. وقف أمام الماكينة وهو يشاهد السائل البني الداكن يتساقط في الكوب.

عاد إلى الأريكة وجلس فيها، وأخذ رشفة من القهوة التي كانت لا تزال ساخنة. نظر إلى الجدار المقابل، حيث كانت الصور القديمة له ولليلى، لكنه لم يعد يجدها كما كانت.

ضباب من التفكير محيط به، وعقله لا يكف عن التكرار:

«هل كان القرار صحيحًا؟»

بينما كان يغرق في تلك الدوامة من الأفكار، رن هاتفه فجأة.

كان الرقم على الشاشة هو رقم خليل، صديقه القديم في العمل.

«مراد، كيف حالك؟ أريد أن أراك، لدينا بعض الأمور للعمل عليها.»

تردد مراد للحظة وهو يحمل الهاتف بيد، والكوب باليد الأخرى. أخذ نفسًا عميقًا وقال بصوت متعب:

«خليل، أنا آسف، لا أعتقد أنني مستعد للخروج الآن... ليس لدي الطاقة لمقابلة أحد.»

على الطرف الآخر، صمت خليل قليلاً قبل أن يرد بحزم ممزوج بالقلق:

«مراد، أعرف أن الأمر صعب عليك، لكن هذا اللقاء مهم جدًا. لا يمكن تأجيله، وسأكون بانتظارك مهما استغرق الأمر.»

«خليل...»

قاطعه خليل بنبرة جادة:

«اسمعني، أعلم أنك تمر بفترة صعبة، لكن هذه المقابلة قد تكون بداية لتغيير كل شيء. لا تدع الماضي يسيطر عليك، ولا تفوت الفرص التي أمامك الآن.»

مراد أغمض عينيه للحظة، شعر بثقل الكلمات، لكنه لم يستطع تجاهل إصرار صديقه.

«حسنًا، سأحاول الحضور.»

«جيد، أنا أثق بك يا مراد. سأنتظرك في المقهى المعتاد. خذ وقتك، لكن لا تتأخر.»

أنهى المكالمة وأعاد الهاتف إلى الطاولة بجانبه. نظر مرة أخرى إلى كوب القهوة في يده، لكنه لم يشعر بأي راحة. رغم تردده، كان يعلم أن عليه اتخاذ خطوة، حتى لو كانت صغيرة. نهض ببطء، حاول إعادة ترتيب أفكاره وطاقته قبل أن يخرج من الباب ليواجه العالم من جديد.

رغم تردده، شق طريقه نحو المقهى في وسط البلد حيث كان ينتظره خليل. كانت الشوارع تعج بالحركة، لكن داخله كان يعج بالفوضى. حين دخل المقهى، رأى خليل جالسًا في مكانه المعتاد، يلوح له بابتسامة مشجعة.

قال خليل وهو يقف ليصافحه.

«أخيرًا! كنت أعلم أنك ستأتي.»

جلس مراد، ونظر إلى خليل بنظرة تساؤل:

«حسنًا، أنا هنا. ما الأمر المهم الذي جعلني أخرج من عزلتي؟»

طلب خليل قهوة لكل منهما، ثم قال بجدية:

«الأمر يتعلق بالعمل، وبالظلم الذي تعرضت له. هناك شيء اكتشفناه مؤخرًا، وكنت بحاجة أن أخبرك شخصيًا.»

شعر مراد بأنفاسه تتسارع قليلاً، وقال بحذر:

«ما الذي تقصده؟ ظُلم؟ خليل، لقد فقدت كل شيء بسبب تلك الاتهامات.»

أخذ خليل نفسًا عميقًا وبدأ يشرح:

«مريم... هي من وراء كل ما حدث. اكتشفنا أنها قامت بتزوير الأوراق وجعلتك تبدو وكأنك اختلست من أموال الشركة. لقد كنا نظن أنك المخطئ، لكن الأدلة الجديدة تثبت براءتك.»

تجمد مراد في مكانه، وعيناه تحدقان في خليل.

«ماذا تقول؟ مريم؟ لكن لماذا؟»

«ببساطة، كانت تحاول تغطية أفعالها. لقد كانت تختلس من الشركة لفترة طويلة، وعندما شعرت بأن الأمور بدأت تضيق حولها، استغلت منصبها لتلفق لك التهمة.»

«وأنتم؟ صدقتموها بكل بساطة؟ لم يتوقف أحد ليسألني، لتفهموا موقفي؟»

خفض خليل رأسه قليلاً وقال بصوت منخفض:

«أنا آسف. لقد كنا مخطئين. لكننا نحتاجك الآن. مريم تم إنهاء عملها، ونحن نريد منك العودة. الشركة بحاجة إلى شخص مثلك.»

ضحك مراد بسخرية، وقال:

«تريدون مني العودة؟ بعد كل ما مررت به؟ بعد أن فقدت كل شيء بسببكم؟»

حاول خليل تهدئته:

«مراد، أعلم أن ما حدث لا يُغتفر بسهولة. لكنك تعرف كم أنت مهم للشركة، وكم كان وجودك يعني لها. إذا كنت بحاجة لوقت للتفكير، فأنا أفهم، لكن رجاءً، لا تدع أخطاء الآخرين تحطمك.»

جلس مراد ينظر إلى القهوة التي أمامه. كان في داخله صراع بين غضبه، وألمه، ورغبته في إعادة بناء نفسه.

رفع نظره إلى خليل وقال بصوت منخفض:

«سأفكر في الأمر.»

ابتسم خليل، وقال:

«هذا كل ما أطلبه. خذ وقتك، لكن تذكر أن الأبواب مفتوحة لك دائمًا.»

بعد أن غادر خليل، بقي مراد جالسًا في المقهى لفترة أطول، أفكاره تدور بلا توقف. كيف يمكنه استيعاب كل ما حدث؟ اكتشاف خيانة مريم وبراءته لم يكن مجرد حقيقة جديدة، بل كان زلزالًا قلب كل ما حدث في الأشهر الماضية.

أعاد تشغيل ما قاله خليل في رأسه مرارًا. شعور مزدوج اجتاحه: الراحة لأنه لم يكن مذنبًا كما ظن الجميع، والغضب لأنه تعرض للظلم من أقرب الناس إليه.

«كيف لم أكتشف خداعها؟ كيف لم أكن منتبهًا؟»

بعد لحظات، أخذ هاتفه وكتب رسالة قصيرة لخليل:

«شكراً على إخبارك الحقيقة. لكنني بحاجة لبعض الوقت لاستيعاب كل هذا. سأفكر في عرضك.»

أرسل الرسالة، ثم قرر أن يغادر المقهى. الجو البارد في الخارج كان منعشًا إلى حد ما.

سار في الشوارع بلا وجهة محددة، محاولًا تهدئة عاصفة المشاعر التي تعصف به.

في طريقه للمنزل، قرر أن يمر على حديقة صغيرة كان يتردد عليها في الماضي عندما يحتاج إلى التفكير.

جلس على أحد المقاعد، وترك عقله يستعيد الذكريات: كيف كانت الأمور قبل أن تنهار حياته المهنية، وكيف كان يرى نفسه شخصًا ناجحًا وصاحب مبادئ.

بينما كان يجلس هناك، أدرك أن أمامه خيارين: أن يترك الماضي يستهلكه، أو أن يستخدم هذه التجربة لإعادة بناء نفسه.

كانت فكرة العودة للعمل مغرية، لكن الألم الذي تركه ذلك الفصل من حياته لم يكن سهل التجاوز.

عندما عاد إلى شقته تلك الليلة، جلس أمام مكتبه، وبدأ يكتب على ورقة بيضاء قائمة بالأشياء التي يجب أن يفكر فيها:إليك ثلاث أسئلة يمكن أن تساعد مراد في التفكير:

كيف يمكنني العودة للعمل بعد هذا الوقت الطويل؟

هل سيكون من السهل عليّ التكيف مجددًا مع زملائي والمهام اليومية، أم أن العودة ستكون مليئة بالتحديات النفسية التي قد تؤثر على أدائي؟

هل عودتي للعمل قد تقربني من ليلى مرة أخرى؟

بعد كل ما حدث، هل سيكون وجودي في نفس المكان معها في العمل يعيدنا إلى بعضنا البعض، أم أنه سيثير المزيد من التوتر والمشاعر المعقدة؟

أنهى الكتابة، ثم قرر أن يخلد للنوم. لكنه، لأول مرة منذ وقت طويل، شعر بأن هناك أملًا بسيطًا يتسلل إلى قلبه. ربما، فقط ربما، كان بإمكانه أن يطوي هذه الصفحة يومًا ما، ويبدأ من جديد.

في تلك الأثناء، كانت ليلى تجلس على شرفتها الصغيرة، متكئة على الكرسي، تنظر إلى الشارع الذي يعجّ بحركة الناس والسيارات.

بدا كل شيء حولها حيًّا وصاخبًا، على عكس ما كانت تشعر به في داخلها. وضعت يديها حول فنجان الشاي الذي برد منذ فترة طويلة، وغرقت في أفكارها.

لم تكن ليلى قادرة على التوقف عن التفكير في اللقاء الأخير مع مراد. كانت كلماته تتردد في رأسها بلا توقف.

جلست في غرفتها وحيدة، والظلام يحيط بها.

كان هناك شعور بالخسارة، لكنه كان ممتزجًا بخوف عميق؛ الخوف من أن تمنحه فرصة أخرى، فينكسر قلبها ثانيةً.

حدقت في هاتفها، تتنقل بين الرسائل القديمة التي جمعتهما يومًا. كانت الكلمات مليئة بالحب، بالوعود، وبأحلام لم تتحقق.

همست لنفسها وهي تكاد تختنق بعبرتها.

»كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف تحول كل هذا إلى رماد؟«

وضعت الهاتف جانبًا، ثم انهارت باكية. احتضنت الوسادة وكأنها تحاول أن تحتوي ألمها، لكنها لم تستطع.

«أحُبه... لكن هل يكفي الحب؟»

لم تستطع كبح شهقاتها، فسمعتها والدتها ودخلت الغرفة بهدوء.

عندما رأت دموع ليلى، لم تسأل شيئًا. جلست بجانبها واحتضنتها بحنان.

«يا ابنتي، ما الذي يبكيك هكذا؟»

أخذت ليلى وقتها قبل أن ترد بصوت مكسور:

«أمي، قلبي محطم. أحب مراد، لكنني خائفة... خائفة أن أعطيه فرصة أخرى، فيحطم قلبي مجددًا. ماذا أفعل؟»

مسحت الأم دموعها بيدها، وقالت بصوت دافئ مليء بالحب:

«يا حبيبتي، في بعض الأحيان، لا تعطينا الحياة إجابات واضحة. لكن ما يمكنني قوله لكِ هو أن تستمعي إلى قلبك. الحب دائمًا يحمل معه المخاطرة، لكنه أيضًا يحمل معه الأمل. إذا كنتِ تشعرين أنه يستحق فرصة أخرى، فلا تخشي المحاولة. ولكن إذا شعرتِ أن قلبك لن يتحمل، فلا تضغطي على نفسك.»

نظرت ليلى إلى والدتها، وكلماتها كانت كالبلسم لروحها المتعبة.

«لكن، أمي، كيف أعرف إن كنت أفعل الصواب؟»

ابتسمت الأم وقالت:

«لن تعرفي أبدًا يا حبيبتي. لكن الحياة ليست عن اليقين، بل عن المحاولة. اسمعي لقلبك، ودعيه يقودك. أحيانًا، القرار الذي نخافه هو القرار الذي يجب علينا اتخاذه.»

انهارت ليلى في أحضان والدتها مجددًا، وهي تحاول العثور على إجابة وسط مشاعرها المتضاربة. وفي تلك اللحظة، أدركت أن الإجابة قد لا تأتي بسهولة، لكنها كانت تعلم أن عليها مواجهة الأمر، مهما كان الألم الذي ينتظرها.

في اليوم التالي، جلس مراد في شقته مستغرقًا في التفكير فيما أخبره به خليل. خيانة مريم لم تكن مجرد مفاجأة، بل كانت صدمة زعزعت ثقته في كل شيء حوله.

كيف يمكن لشخص كان يعتقد أنه قريب منه أن يتلاعب بحياته بهذه الطريقة؟

رن هاتفه ، وكان المتصل هو خليل. أجابه مراد بعد تردد:

«ألو؟»

«مراد، هل قررت؟»

«لا أعرف يا خليل... كل شيء يبدو معقدًا. لا أعلم إن كنت مستعدًا لمواجهة كل هذا الآن.»

صمت خليل للحظة قبل أن يرد بحزم:

«أعلم أن الأمر صعب، لكن هذه فرصتك لتعيد الأمور إلى نصابها. نحن بحاجة إليك في العمل، وهناك الكثير من التحديات التي لا يمكننا تخطيها بدونك.»

زفر مراد بعمق، وهو ينظر إلى النافذة.

«لكن العودة ستعني مواجهة كل شيء... مريم، الماضي، وحتى نفسي. لا أعلم إن كنت أملك القوة لذلك.»

«اسمعني، لا تفكر في مريم الآن. الأمر لم يعد يتعلق بها. الأمر يتعلق بكرامتك، بسمعتك، وبالعودة إلى من كنت. نحن سنكون هناك لدعمك، ولن تكون وحيدًا. فقط قابلني مرة أخرى، لنضع خطة معًا.»

فكر مراد للحظات، ثم قال بصوت هادئ:

«حسنًا، سأقابلك. لكنني لا أعدك بشيء.»

أجاب خليل بابتسامة خفية في صوته.

«لنلتقِ في بيت أحمد مساء اليوم.»

في المساء، كان مراد يواجه نفسه من جديد. قرر الذهاب إلى منزل أحمد، صديقه الحكيم المخلص الذي كان دائمًا يوجهه في اللحظات الصعبة.

عندما وصل، استقبله أحمد بابتسامة هادئة ووجهه المليء بالحكمة.

«مراد، صديقي العزيز، كنت في انتظارك،»

جلس مراد على الأريكة، متوترًا قليلاً بينما دخل خليل بعد لحظات، حاملاً حقيبة أوراق.

خليل وهو يضع الحقيبة جانبًا.

«شكرًا لقدومك يامراد»

«أنا هنا فقط لأسمعك،»

فتح خليل الحقيبة وأخرج بعض المستندات، ثم دفع بها نحو مراد.

«هذه هي الأدلة التي تثبت تورط مريم في القضية. لقد زورّت توقيعك وأرسلت الأوراق إلى الإدارة لتضعك في موقع الاتهام. لدينا الآن كل ما نحتاجه لإثبات براءتك.»

نظر مراد إلى الأوراق بعينين مثقلتين بالدهشة والغضب.

«كيف تمكنت من فعل ذلك؟ وكيف لم يكتشف أحد الأمر قبل الآن؟»

«لأنها كانت حذرة جدًا، لكننا كنا نراقبها منذ فترة، وعندما بدأت تظهر بعض الثغرات، عرفنا أن هناك شيئًا خاطئًا. استغرق الأمر وقتًا، لكننا حصلنا على الحقيقة في النهاية.»

أغمض مراد عينيه وأخذ نفسًا عميقًا.

«وأنت تقول أن الإدارة تريدني أن أعود؟ بعد كل ما حدث؟»

«بالطبع، إنهم يعلمون الآن أنك كنت بريئًا تمامًا. إنهم بحاجة إليك لإصلاح ما أفسدته مريم.»

جلس مراد بصمت للحظات، ثم قال:

«أنا بحاجة لبعض الوقت لأفكر. لكنني أقدر ما فعلته من أجلي، يا خليل.»

ابتسم خليل وقال:

«خذ وقتك، لكن لا تنسَ أننا بحاجة إليك. هذا ليس فقط عن العمل، إنه عن استعادة نفسك.»

نهض خليل وغادر، تاركًا مراد مع أوراقه وأفكاره. كان يعلم أن القرار لن يكون سهلاً، لكن بدا أن الخطوة الأولى قد وُضعت أمامه الآن.

وفي اليوم التالي، تلقى مراد مكالمة جديدة من خليل.

«مراد، لا وقت للانتظار. مجلس إدارة الشركة سيعقد اجتماعًا غدًا، وسيتم مناقشة القضية بشكل رسمي. مريم ستكون هناك، ونحن بحاجة لك كي تحضر وتواجهها بنفسك. هذا هو وقتك لإثبات براءتك أمام الجميع.»

شعر مراد بضغط متزايد على صدره.

«هل أنت متأكد؟ أنا لا أعرف إذا كنت مستعدًا لذلك بعد كل ما حدث.»

«لا يوجد وقت للاستعداد، إنهم ينتظرونك، وأنت بحاجة لإغلاق هذا الفصل نهائيًا.»

أخذ مراد نفسًا عميقًا وأغلق الهاتف. عينيه كانت مشدودة نحو الأوراق التي أمامه، حيث كانت الحقيقة واضحة أمامه الآن، لكن القرار الأصعب كان عليه اتخاذه بنفسه.

في اليوم التالي، كان لا يزال يعيش في حالة من الضياع بين التفكير في العودة إلى العمل ومواجهة مريم، وبين شكوكه العميقة حول مدى قدرته على استعادة ثقته بنفسه.

كان كل شيء يتسارع حوله، لكنه كان يحاول أن يتماسك.

قبل الاجتماع، قرر زيارة مكتب الشركة ليحاول ترتيب أفكاره وتهدئة نفسه قبل المواجهة المرتقبة.

عند وصوله، كان المكان هادئًا بشكل غريب. دخل الممر، فسمع صوت خطوات تقترب منه. كان خليل.

«مراد، كنت أبحث عنك. هناك شيء آخر يجب أن تعرفه.»

نظر مراد إليه بقلق، فسأله بسرعة:

«ماذا هناك؟»

«مريم...»

بدأ خليل، وتوقف للحظة وكأنه يفكر في الكلمات التي سيقولها.

«هي ليست كما تبدو. ما اكتشفناه اليوم كان صادمًا. لدينا دليل على أنها كانت على علاقة مع شخص آخر داخل الشركة، وربما كانت تحاول التخلص منك ليس فقط لأخذ مكانك، ولكن بسبب أمور أكبر مما كنا نتوقع.»

شعر مراد بأرضية قدمه تهتز تحت وطأة الكلمات.

«ماذا تعني؟ علاقة؟»

«نعم، شخصية كبيرة في الشركة كانت تدعمها، وكانت تخطط لشيء أكبر من مجرد توريطك في القضايا المالية. نحن نعتقد أن مريم كانت تلعب دورًا مزدوجًا... وتدير خطة مع هذا الشخص لإضعاف الشركة من الداخل.»

كانت المفاجأة التي تلقاها مراد ثقيلة عليه. لم يكن يتوقع أن يكون الأمر معقدًا لهذه الدرجة. شعر وكأن الأرض تبتلع ما تحت قدميه، وعقله يراوده أفكار متضاربة وسريعة.

«كيف يمكن أن يحدث هذا؟»

«كل شيء كان مخططًا بدقة، لكن المفاجأة الأكبر هي أن مريم كانت تظن أنها تخدعنا جميعًا، بينما في الواقع هي نفسها كانت تحت المراقبة.»

مرت عدة لحظات من الصمت، ثم فجأة رن هاتف مراد. كانت مكالمة غير متوقعة من أحمد.

«مراد، أنت في خطر... مريم قد علمت بما كُشف عنها، وهي الآن تحاول اتخاذ خطوة أخيرة لتدميرك بالكامل. لا تذهب إلى الاجتماع اليوم.»

كان صوته مليئًا بالقلق.

«ما الذي تعنيه؟»

«هي قد تكون وراء تسريب بعض الوثائق لمنافسي الشركة. لديها معلومات قد تدمرك، وقد تكون تعمل الآن على تحييدك نهائيًا.»

شعر مراد أن كل شيء ينهار حوله. كان يعتقد أنه سيتعامل مع خيانة مريم كحدث واحد، لكن الآن اكتشف أنه كان يعيش في قلب شبكة معقدة من المؤامرات والمكائد التي تتداخل بشكل غير متوقع.

في اليوم نفسه، وبعد المكالمة المقلقة من أحمد، ظل مراد حائرًا بين رغبة الانتقام والشكوك التي تغزو قلبه.

كانت اللحظة قد حانت، لكنه سرعان ما أدرك أن ما كان يظنه نهاية لقصته مع مريم هو في الحقيقة مجرد بداية لفصل آخر مظلم ومربك.

وصل إلى المكتب في الوقت المحدد، مستعدًا لمواجهة الأمور كما كانت، كان خليل قد سبقه، دخل قاعة الاجتماعات حيث كان المجلس ينعقد بشكل طبيعي.

كان المدير التنفيذي يجلس على رأس الطاولة، يفتح الاجتماع بهدوء، فيما كان باقي الأعضاء يتبادلون الأحاديث حول بعض الأمور المالية.

وقال المدير التنفيذي بصوته الهادئ:

«مرحبًا جميعًا. نبدأ اجتماعنا اليوم بمراجعة التقارير الشهرية، كما هو معتاد.»

لكن قبل أن يتمكن أي من الأعضاء من التعقيب، وقف خليل فجأة أمام الباب، ليلفت الأنظار. وقال بجدية:

«عذرًا على المقاطعة، ولكن هناك شخص مهم سينضم إلينا الآن.»

دخل مراد وحينها شعر بشيء غريب في داخله، خاصة عندما رأى ملامح التوتر على وجوه بعض الأعضاء، بما في ذلك مريم. نظراتها أصبحت مشوشة، شعر مراد بشيء يخبئونه، لكن لم يكن يعرف بعد ما هو.

ثم، دخل الشخص الذي كان الجميع ينتظره، وكان أحد كبار رجال الإدارة، الذي طالما ظل في الخفاء. هذا الشخص لم يكن معروفًا للجميع بشكل كبير، لكنه كان يملك نفوذًا هائلًا في الشركة.

وحين دخل، بدأ بعض الأعضاء يهمسون في قلق. كانت هناك شكوك في مكانها، ولم يكن أحد يعرف كيف ستسير الأمور بعد دخوله.

قال المدير التنفيذي بنبرة غير مألوفة:

«الآن، مع انضمام السيد كريم، سيكون لدينا القدرة على النظر في الأمور بوضوح أكبر.»

وفي تلك اللحظة، كانت ملامح القلق تظهر على وجه مريم بوضوح. كان هذا الشخص، السيد كريم، يبدو كأنه الشخص الذي كان وراء كل شيء، الشخص الذي خطط للعبة المعقدة التي كان مراد يواجهها الآن.

وقبل أن يستطيع أحد الكلام، استدارت مريم لتقاطع المدير التنفيذي:

«أعتقد أن هذا ليس ضروريًا. هناك أمور يجب مناقشتها أولاً قبل أن نتحدث عن هذا الشخص الجديد.»

لكن المدير التنفيذي رد عليها بصرامة:

«لا، مريم، اليوم هو اليوم الذي سنكشف فيه كل شيء.»

ثم التفت إلى مراد وقال بصوت حازم:

«مراد، نحن هنا اليوم ليس فقط لمراجعة التقارير أو القضايا المالية. نحن هنا للكشف عن الحقيقة التي ستغير كل شيء.»

ارتبك الجميع في الغرفة، ولكن مراد كان يعلم أن الأمور لن تسير كما توقعتها.

في تلك اللحظة، بدأ المدير التنفيذي يكشف الستار عن الأمور الخفية التي كانت تدور وراء الكواليس.

كشف أن مريم لم تكن الوحيدة التي كانت وراء تهمته، بل كان هناك شخص آخر، من داخل المجلس نفسه، يقف وراء التلاعب بالأموال والوثائق.

وكان هذا الشخص قد قام بتوجيه التهم لمراد، متسببًا في فضيحة كانت ستدمر مستقبله المهني.

قال المدير التنفيذي، وهو يضع على الطاولة بعض الأوراق الموقعة:

«هذه هي الأدلة التي تؤكد تورط مريم في التلاعب بالأموال. لقد قامت بتزوير الأوراق، ووضعت مراد في موقف لا يستطيع الخروج منه بسهولة.»

مريم بدت متفاجئة للحظة، ثم حاولت التملص والحديث بسرعة:

«هذا ليس صحيحًا! لم أفعل أي شيء!»

لكن السيد كريم تدخل قائلًا:

«ما فعلتيه لم يكن مجرد تزوير، بل هو جزء من خطة أكبر. كانت لديك علاقة سرية مع بعض الأشخاص في المجلس الذين كانوا يسعون للاستفادة منك ومن مراد أيضًا. أنت كنت أداة في أيديهم، ولم تكوني حتى تعلمين بذلك.»

كانت الكلمات كالصاعقة بالنسبة لمراد. لم يكن يتخيل أبدًا أنه كان في منتصف دوامة من التلاعبات والخيانات، وكان الأمر يتجاوز مجرد العلاقة بينه وبين مريم.

قال المدير التنفيذي:

«نعم، لقد كنتِ جزءًا من مخطط فاسد يهدف إلى السيطرة على الشركة. مراد لم يكن هو الشخص الذي دبر ذلك. الشخص الذي قاد هذه اللعبة هو السيد صادق، الذي حاول أن يبقى في الظل طوال الوقت. كان يعتقد أن أحدًا لن يكتشف أمره.»

وقف السيد صادق بعد أن تم الكشف عن دوره في المؤامرة، وكانت علامات الارتباك بادية عليه.

أما مراد، فكان في حالة من الذهول، عينيه تحدقان في السيد صادق وكأن عقله يرفض تصديق ما سمعه. والأعضاء الذين كانوا حاضرين في الاجتماع، فبدوا في حالة من الصمت التام، وجوههم تعكس دهشة كبيرة، وكأنهم غير قادرين على استيعاب ما يجري أمامهم.

قال صادق، وهو يرفع يديه دفاعًا عن نفسه.

«هذا هراء! كل هذا مجرد افتراءات. نعم، مريم قد أخطأت، لكن هذا لا يعني أنني كنت متورطًا في أي شيء. مريم هي من كانت تدير كل شيء من خلف الكواليس، وقد كانت تعمل بمفردها، وأنا لا علاقة لي بذلك.»

أخذ نفسًا عميقًا وأشار إلى مريم، التي كانت ما تزال في حالة ذهول، ملامح وجهها مشوشة. «إنها من قامت بكل هذا. كانت تتلاعب بالأوراق وتوقع على المستندات باسم مراد. أنا لم أكن في الصورة بهذه الطريقة. يجب أن تتحمل هي المسؤولية الكاملة عن هذه الأفعال.»

كان مراد يراقب الموقف بصمت، كانت كلمات صادق غير مقنعة، وكان هناك شيء في طريقة حديثه يشير إلى أنه يحاول التملص من المسؤولية.

لم يكن في الواقع متورطًا فقط، بل كان العقل المدبر لكل شيء.

لكن المدير التنفيذي لم يكن ليتراجع.

«أنت تدعي أن مريم هي من فعلت كل شيء، ولكننا نعلم الآن أن الأمور كانت تحت إشرافك الكامل، يا صادق. أنت من قمت بتوجيه مريم ودفعتها لإجراء تلك التزويرات. كان هدفك هو الإطاحة بمراد، لتخليص مكانك في الشركة، وكان بإمكانك بسهولة التلاعب بالأدلة لصالحك.»

بدأت مريم تتوتر، لكن حين سمعت كلمات المدير التنفيذي، بدا وكأنها تجد أخيرًا متنفسًا. حاولت أن تُظهر نفسها كضحية.

«أريد أن أفهم! كيف يمكن أن يتهمني الجميع وأنا كنت مجرد أداة في يده؟ لم أكن أعي ما كان يحدث من حولي!»

لكنها كانت تدرك في أعماقها أن هذا لن يغير شيئًا.

كان الجميع قد اكتشفوا تورطها، لكن الحقيقة أكثر تعقيدًا من مجرد تهمة فردية.

شعر مراد بصدمة عميقة وهو يستمع إلى كل هذه الاتهامات المتبادلة. لم يكن قد مر وقت طويل منذ أن اكتشف الحقيقة، وكان الآن يقف وسط حرب كبرى بين أفراد من المفترض أن يكونوا زملاءه وأصدقائه.

وفي هذه اللحظة الحاسمة، قرر أن يواجه الجميع بكل شجاعة.

قال بصوت عميق وقوي:

«ما جرى هنا أكبر من مجرد خيانة مريم أو تلاعب صادق. الجميع هنا كان جزءًا من لعبة لا نهاية لها، وكلنا تورطنا في شيء أكبر من أنفسنا.»

توقف الجميع عن الحديث. نظروا إلى مراد، هو الآن لم يعد مجرد ضحية، بل كان أحد المحركين الرئيسيين في الكشف عن هذه المؤامرة المعقدة.

أضاف مراد، وهو يتنفس بعمق:

«لقد كان هذا أكثر من مجرد خيانة من شخص لشخص. كان هذا استغلالًا لنظام كامل، لعبة يتلاعب فيها الجميع. وأنا لن أكون جزءًا من هذا بعد الآن.»

ابتسم المدير التنفيذي بخفة وقال:

«مراد على حق. ليس لدينا خيار سوى أن نتخذ إجراءات حاسمة، لأن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر. لدينا الآن الأدلة التي تدين صادق ومريم معًا.»

في اللحظة التي كان الجميع فيها يترقبون ما سيحدث بعد كشف تلك المؤامرة، تحول الجو في الغرفة إلى حالة من التوتر والانتظار.

كان هذا اللقاء يهدد بكشف المستور، وأدرك أن النهاية قد تكون أقرب من أي وقت مضى.

لكن فجأة، وفي لحظة غير متوقعة، دُفعت الأبواب بشدة، وانقضت مجموعة من الرجال بقوة، وكان من بينهم أفراد من الشرطة.

اندفعوا جميعًا داخل الغرفة وسط الهمسات والهمسات المضطربة.

وقف الجميع في صمت، نظراتهم تتنقل بين بعضهم البعض وبين الضباط، لا يعرفون ما الذي سيحدث بعد.

ثم، كما لو أن شيئًا قد انفجر في المكان، قطع الصمت صوت طلقات مسدس.

ارتد الجميع للخلف فجأة، وركض أحد الرجال الضباط باتجاه السيد صادق، الذي كان قد أخرج سلاحه ووجهه نحو أحد الأعضاء في مجلس الإدارة، وقال:

«لا تقتربوا!»

كان يضع المسدس في وجه عضو آخر، وابتسامة مشوهة على وجهه.

«أعرف تمامًا كيف ألعب هذه اللعبة، إذا أردتم حياته، فلا تجرؤوا على التحرك.»

كان القلق يغلي في أعين الجميع، لا أحد يعرف ماذا سيحدث. ولكن في لحظة من الجنون، وفيما كان الجميع مشغولين بالترقب، انتبه مراد إلى حركة غير متوقعة. رأى ضابط شرطة يخطو تجاه صادق.

صرخ صادق، ورفع المسدس إلى الهواء، وأطلق طلقتين من سلاحه، ولكن الضابط، الذي كان قد أخذ خطوة أخرى نحو صادق، لم يتراجع.

«سأقتلك الآن إن تحركت!»،

وفي لحظة من الغضب والسرعة، أمسك صادق بالعضو الذي كان قريبًا منه، وأمسك عنقه بإحكام، مهددًا بقتله إذا حاول أحدهم الاقتراب.

«كل من يحاول أن يوقفني سيندم على ذلك!»

لكن بينما كان الجميع في حالة من الارتباك، استغل صادق هذه الفرصة الهاربة.

في سرعة البرق، دفع العضو في وجهه، وتحرك بسرعة هائلة نحو نافذة الزجاج الكبيرك في الغرفة. دون أن يلتفت خلفه، قفز من خلال الزجاج وسط ضجيج مرعب.

في غمضة عين، كان صادق قد اختفى، والشرطة قد عجزت عن اللحاق به.

الجو في الغرفة كان مشحونًا أكثر من أي وقت مضى. الجميع كان في حالة صدمة، لا يعرفون ما الذي سيحدث بعد هذا الهروب الصاعق.

كان مراد يشعر بعقل مشوش، غير قادر على استيعاب ما حدث. إذا كان صادق قد استطاع الهروب بهذا الشكل، فهذا يعني أن كل شيء قد ينهار في لحظة.

صادق كان قد نجح في دفع العضو والهرب باتجاه الزجاج، ولم يتوقف للحظة.

قلبه كان ينبض بسرعة، وكان يعلم أن ملاحقة الشرطة ستكون قريبة، لذا لم يكن لديه وقت يضيعه. بعدما قفز عبر نافذة الزجاج العريض التي كانت تطل على الباحة الداخلية للمبنى، اندفع إلى المصعد الموجود في الجدار.

مقابل أعين الجميع، كان يتسلق بسرعة، ولم يكن هناك وقت لإهدار لحظة واحدة.

دفع الباب المعدني للمصعد، والذي كان نوعًا من مصعد الخدمة، واندفع بداخله، ليبدأ في محاولته الهروب من المبنى بأقصى سرعة.

أدرك أن أفضل طريقة للنجاة هي النزول سريعًا، دون أن يشعر أحد بذلك.

بينما كان ينزل بسرعة مذهلة عبر المصعد، كانت أصوات الشرطة تتلاشى ببطء عن المبنى، لكن مراد كان قد بدأ يلاحظ شيئًا غريبًا.

عندما وصل إلى الطابق السفلي، دوت ضجة قوية من الخارج.

وعندما خرج من المصعد، فوجئ بمفاجأة لم تكن في الحسبان.

عند الباب الرئيسي للمبنى، كانت هناك سيارات شرطة بانتظاره.

كان محاصرًا! لم تكن الشرطة فقط في الداخل، بل كانت هناك قوات إضافية قد أُرسلت لتطويق المكان.

قبل أن يتمكن من التراجع، سمِع صوتًا آخر. ضابط شرطة من خلفه يصرخ:

«أنت محاصر الآن!»

شعر صادق بغضب داخلي، لكن المفاجأة لم تنتهِ هنا. في الزاوية البعيدة، خرج أحمد فجأة من وراء إحدى السيارات. لقد كان هو الشخص الذي قاد الشرطة إلى المكان! يبدو أنه كان يعمل مع الشرطة طوال الوقت، دون أن يدرك صادق ذلك.

قال أحمد وهو يتقدم بثقة، وعيناه مليئة بالعزم.

«لقد كانت هذه لحظة النهاية بالنسبة لك. كنت أظن أنك أكبر من ذلك، لكنك كنت مجرد جزء من مخطط أكبر لم أدركه إلا الآن.»

صادق تجمد في مكانه، وأدرك أنه تم محاصرته بطريقة ما.

حاول التراجع، لكن يدًا قوية أمسكت به من الخلف، وهي يد الضابط الذي كان يراقب تحركاته عن كثب.

اقترب أحمد أكثر وقال بصوت حازم:

«لن تخرج من هنا أبدًا.»

وفي الحال تم القبض على صادق واصطحبته الشرطة مع مريم التي لم تتوقف عن إنكار كل شيء، ساد الصمت في قاعة الاجتماعات، إلا أنه كان مشحونًا بمشاعر مختلطة من الصدمة والارتياح. وقف الجميع متوترين، بينما كان المدير التنفيذي يراجع الأوراق التي تحتوي على تفاصيل القضية.

نهض المدير التنفيذي من مكانه وقال بصوت يحمل الجدية:

«أيها السادة، لقد مرت شركتنا بأسوأ أزمة في تاريخها. ما حدث اليوم يكشف عن ثغرات خطيرة في نظامنا الإداري، لكن في الوقت نفسه، أظهر لنا أن هناك أشخاصًا لا يزالون يقاتلون من أجل النزاهة والعدل.»

ثم التفت إلى مراد وقال بابتسامة تعبر عن الاحترام والتقدير:

«مراد، ما فعلته اليوم كان شجاعًا. لقد وقفت في وجه الظلم وأثبت ولاءك للشركة في أصعب الظروف. نحن مدينون لك بالكثير، ليس فقط باعتذار عن اتهامك ظلمًا، بل أيضًا برد اعتبارك بالطريقة التي تليق بمكانتك.»

نظر المدير إلى أعضاء المجلس، وأومأ برأسه.

«بعد التصويت، قرر المجلس بالإجماع إعادة مراد إلى العمل، ولكن هذه المرة في منصب الرئيس التنفيذي للشركة.»

ساد الصمت للحظة، قبل أن ينفجر الجميع بالتصفيق.

لم يصدق مراد ما سمعه، وكان ينظر حوله وكأنه يحاول استيعاب ما يحدث.

«الرئيس التنفيذي؟»

أجاب المدير التنفيذي مبتسمًا:

«نعم، منصبك الجديد. لقد أثبت أنك تمتلك رؤية، شجاعة، ونزاهة تجعلك الشخص المناسب لقيادة هذه الشركة إلى المستقبل. وأنا على يقين بأنك ستنجح.»

وقف مراد للحظة، ثم قال بصوت ثابت:

«أشكركم على هذه الثقة. لقد مررت بأوقات صعبة، لكنني كنت دائمًا أؤمن أن الحقيقة ستظهر. اليوم ليس فقط يوم رد اعتباري، بل هو بداية لمسؤولية جديدة. سأبذل كل جهدي لأعيد لهذه الشركة مكانتها وأحميها من أي فساد مستقبلي.»

تقدم أحد أعضاء المجلس وقال بحماس:

«ونحن معك يا مراد، سندعمك بكل ما أوتينا من قوة.»

بعد أن خرج مراد من الاجتماع، وكل تلك المشاعر المتداخلة في قلبه، قرر أن يتنفس قليلاً.

بينما كانت الأضواء في المدينة تتلألأ، كان ذهنه في دوامة من التفكير حول كل ما حدث. ومع هذا، كان يعلم أنه لن يهدأ إلا حين يرى ليلى، تلك الفتاة التي كان قلبه يحمل لها مشاعر معقدة.

في منزل إسراء، كان الضوء خافتًا، والموسيقى الهادئة تعزف في الخلفية.

كانت ليلى جالسة على الأريكة، تعصر كوب الشاي في يديها وهي غارقة في أفكارها، بينما كانت إسراء تجلس بجانبها، تراقبها بحذر.

«ليلى، ماذا يحدث؟ لماذا تبدين هكذا؟»

لم تجب ليلى فورًا، بل أغمضت عينيها للحظة، كما لو كانت تبحث عن الكلمات التي قد تعبر عن المشاعر التي تسكنها. ثم قالت:

«مراد... لم يتصل بي منذ آخر مرة. كنت أتوقع أن يسمعني، أن يتحدث إليّ على الأقل، لكن... لا شيء. أشعر وكأنني ضللته بكلماتنا تلك. هل تظنين أنه تراجع؟»

زفرت إسراء بشدة، ثم نظرت إلى صديقتها، مدركة أن ليلى تمر بلحظة من الحيرة والقلق.

«أنا أعلم أن الوضع صعب، لكن ربما هو يحتاج وقتًا. الأمور بينكما معقدة، أنتِ تعرفين ذلك. لكنه مراد، ويعلم جيدًا ما يمر به...»

هزت ليلى رأسها بخيبة أمل. «أتعلمين، لم أكن أتوقع أن يكون الوضع هكذا. كنت أظن أنني أفهمه، وأنه يفهمني. لكن الآن، ومع كل شيء... والأخبار التي وصلتني، أعتقد أنه أصبح بعيدًا. وكأنني أصبحت جزءًا من ماضيه.»

أخذت إسراء نفسًا عميقًا، ثم قالت بحكمة:

«أنتِ تعرفين أنه يواجه أشياء أكبر من أن نعرف تفاصيلها. ربما هو في موقف لا يستطيع فيه أن يواجه كل شيء دفعة واحدة. ربما يجب أن تتركيه ليقرر... لكن لا تظني أنه قد تراجع. مراد ليس من نوع الناس الذين يتراجعون بسهولة.»

لكن ليلى كانت قلقة، وقلقها كان يزداد مع كل دقيقة تمر دون أن تتلقى كلمة منه.

«أعتقد أنني أحتاج إلى معرفه حقيقة ما يدور في رأسه. هل هو مستعد للمضي قدمًا؟ أم أنني كنت مجرد جزء من مرحلة في حياته؟»

بينما كانت كلماتها تطير في الهواء، رن هاتفها فجأة، ليكسر صمت الغرفة. نظرت إلى الشاشة، وظهر اسم مراد. قلبها تسارع دقاته.

«مراد...» همست، ثم ضغطت على زر الرد.

كان الصوت الذي خرج من الهاتف هادئًا لكنه يحمل توترًا خفيفًا:

«ليلى، أنا بحاجة للتحدث إليك.»

صمتت ليلى للحظة، ثم قالت ببطء:

«مراد، حسنًا لا مشكلة.»

لم تكن تعرف ما الذي سيقوله لها، ولكن قلبها كان ينبض بسرعة، منتظرًا اللحظة التالية التي ستكشف لها حقيقة مشاعره تجاهها، وتجاه كل ما حدث.

جلس مراد على حافة الرصيف على ممشى النيل، ينتظر وصولها. كانت الأضواء المنعكسة على سطح الماء تعكس في نفسه الكثير من الأمل والشكوك في آن واحد.

شعر بثقل الأيام الماضية، وبكل القرارات التي كان عليه اتخاذها، ولكن أكثر ما كان يرهقه هو أن يواجه ليلى.

كان يعلم أن لحظة لقائهما اليوم ستكون فاصلة في حياته.

حين ظهرت ليلى، ارتسمت على وجهها ابتسامة هادئة، لكنها كانت تحمل شيئًا من التوتر. اقتربت منه بخطوات بطيئة، ثم توقفت أمامه.

نظرت إليه بعينين مليئتين بالتساؤلات، كانت تحاول قراءة ما في قلبه.

نظر إليها للحظة، ثم قال بصوت هادئ:

«لقد مررت بالكثير... بالكثير من الشكوك، والكثير من الخيبات. ولكن في النهاية، أدركت أنني لا أستطيع الهروب من الحقيقة.»

«ماذا تعني؟»

همست، محاولة أن تجذب منه الإجابة التي طالما كانت تنتظرها.

تنهد بعمق، ثم بدأ يروي لها ما حدث من اللحظة التي اكتشف فيها خيانة مريم، وكل تفاصيل المؤامرة التي كانت تحاك وراء الكواليس.

أخبرها عن اجتماع المجلس، عن صادق، عن كيف أن الأمور أصبحت أكبر من أن يتحكم فيها، وعن التغييرات التي طرأت على حياته كلها.

كان يحاول أن يشرح كل شيء، لكن الكلمات كانت تقف في حلقه، وكل لحظة كانت تحمل في طياتها شعورًا متناقضًا.

«مراد...هل يعني هذا أنك قررت أخيرًا أن تعود؟ هل ستعود كما كنت؟»

نظر إلى النيل للحظة، ثم رفع عينيه إليها، وفي عينيه كان شيء من الحيرة، كما لو أنه يقف على حافة قرار لم يتخذ بعد.

«ليلى... لا أستطيع أن أخبركِ الآن... لا أستطيع أن أعدك بشيء. أحتاج لبعض الوقت.»

توقف عن الكلام لحظة، ثم أضاف بصوت منخفض:

«أنا هنا الآن لأكون صادقًا معك... لكن العودة، العودة إلى ما كنا عليه، قد لا تكون سهلة... وأنا لست متأكدًا إذا كنت قادرًا على العودة إلى الماضي.»

ثم صمت قليلاً، وكأن الكلمة الأخيرة كانت ثقيلة عليه أكثر من أي شيء آخر.

شعرت ليلى بالبرد في قلبها، ولكنها حاولت أن تبقى ثابتة، وأن تكون أقوى من أي وقت مضى.

«لا تتجنب الحقيقة يا مراد. قل لي ماذا تفكر، ماذا تشعر؟»

ابتسم مراد ابتسامة باهتة، وعينيه تحملان مزيجًا من الحيرة والأسى. كان يشعر بثقل اللحظة، بكل القرارات التي لم يتخذها بعد، وبالفراغ الذي يحيط به. ولكن قبل أن يسترسل في التفكير، كانت ليلى قد نهضت.

نظرت إليه لثوانٍ طويلة، ثم قالت بصوت منخفض:

«أنت تعرف أين كنت في حياتي، كنتُ أركض خلف أمل غير محدد، وأنت تعلم ذلك. ولكن إذا كان الوقت الذي تحتاجه أكثر أهمية من الحقيقة التي أمامك، فلن أتمكن من الانتظار أكثر.»

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أضافت:

«أنت لم تعد الشخص الذي كنت أعرفه. ربما لم أكن أعرفك جيدًا من البداية، وربما... ربما أنا لم أكن أعرف نفسي بما فيه الكفاية. لكنني لا أستطيع أن أعيش في هذا الفراغ، وأنا لا أستطيع أن أنتظر إلى الأبد لتعود إلى ما كنت عليه.»

ظل ساكنًا، كلماتها كانت بمثابة رصاصة في قلبه. كان يعلم أن هذا هو الفراق، ولكنه لم يكن مستعدًا لهذا الوداع. كانت تلك اللحظة التي لا يمكن لأي كلمة أن تلتقطها.

تقدمت ليلى بخطوات قليلة نحو اليسار، ثم توقفت للحظة. نظرت إلى النيل، ثم قالت:

«لن أطلب منك وعدًا. لست بحاجة له. لكنني سأرحل الآن، كما يجب أن أفعل.»

ثم، قبل أن يرد، انطلقت خطواتها بعيدًا، تبتعد عنه، عن هذا اللقاء الذي كان مفترضًا أن يكون مفصليًا في حياتهما.

غيابها قد ترك فراغًا عميقًا في حياته. لكنه كان يعلم في داخله أنها بحاجة إلى المسافة، وأنه هو أيضًا بحاجة إلى تلك المسافة ليجد طريقه.

وها هي ليلى تبتعد عن عينيه، دون أن يملك القدرة على توقيفها.

كانت غارقة في التفكير، كما كان هو، ولكن كل شيء بدا الآن أكثر ضبابية من أي وقت مضى.

أدرك فجأة أن الفراق لم يكن في الكلمات، بل كان في الصمت الذي امتلأ بينهما بعد أن تركها تذهب.

كان يشعر وكأنها أخذت جزءًا من روحه معها، وكأنها تركت خلفها ذكرياتٍ أليمة، خُطّت على جدران قلبه دون أن يستطيع محوها.

لم يكن يعلم ما الذي ينتظره الآن، ولكن شعورًا غريبًا سكن قلبه، شعور بأنه خسر شيئًا أكبر من الحب ذاته.

كان في تلك اللحظة محاطًا بالخراب الذي تركته قراراته، بالأبواب التي أغلقت من دون أن يدرك أنه لا يزال يقف أمامها.

ثم جلس على الحافة الحجرية للممشى بجانب النيل، وبدأ يراقب المياه الهادئة، وكأنها هي الأخرى تشاركه هذا الألم الغريب الذي يعيشه.

كانت الأشجار التي على الجانبين تتأرجح مع الرياح، بينما كان ضوء الشمس يتلاشى، تاركًا المكان في ظلالٍ باردة.

وفي تلك اللحظة، همس بصوتٍ منخفض، نابع من أعماق قلبه:

«أحيانًا، نبحث عن شيء ضاع فينا قبل أن نراه، أحيانًا نفقد أنفسنا ونحن نبحث عن من كان يملؤها. وهكذا، يتبع كل شيء النهاية، حتى الأمل، حتى الحلم، حتى الحب.»

عاد مراد إلى شقته بعد يوم طويل، محملاً بكل ما مر به، وكل ما اختزنه قلبه من ألم. كانت الأرض تثقل خطاه.

أغلق الباب خلفه، ثم اتكأ على الجدار للحظة، عيون مغلقة، وأفكار مشوشة، قلبه ما زال ينبض بتلك القسوة التي لا يجد مفرًا منها.

كان هناك شعورٌ غريب يملأه، كان عقله في دوامة مستمرة.

كان يظن أنه قادر على نسيانها، لكن كيف ينسى جزءًا من روحه؟ كيف يبتعد عن نبض قلبه الذي أخذته معه؟

دخل إلى غرفة المعيشة، جلس على الأريكة، شاردًا، منتظرًا شيء قد يعيده إلى ذاته، ولكنه كان يعرف أنه لا شيء سيعود كما كان.

رفع نظره إلى الطاولة، كانت تلك الورقة التي كتب عليها أفكاره هناك.

نظر إلى الكلمات التي لم يكن يدرك أنه قد كتبها بنفسه.

ثم ابتسم بسخرية، لعلّ ذلك كان أملًا ضائعًا يبحث عن طريق العودة، عن مخرجٍ لهذا الألم الذي لا يبدو له نهاية.

كان على وشك أن يضعها جانبًا، ولكن شيئًا ما داخله منعه.

أخذ نفسًا عميقًا، ثم بدأ يقرأ الكلمات بصوتٍ منخفض، كما لو أنه يعيد اكتشاف جزء من نفسه:

«إذا كان الحب هو الحل، فكيف يكون الفقد هو الإجابة؟

ألم يكن في النهاية هو الجواب؟

بينما أركض خلف ما كان، لا أجد غير رماد الأماني.

ثم، في لحظة ما، يبدأ كل شيء بالانتهاء،

وتصبح الأيام خالية من الوعود.»

ثم أغمض عينيه وأعاد الورقة إلى مكانها.

كان يعلم أن الألم لن يزول بهذه الكلمات، وأن الفقد لا يمكن استعادته في كلمة أو قرار.

كلما حاول العودة إليها، كان يبتعد أكثر.

جلس، مستسلمًا للحظة، عينيه تائهة بين الماضي والحاضر، وكأن كل شيء في العالم قد توقف، وهو وحيدٌ في معركته الداخلية.

في تلك الليلة، في مكانٍ بعيد عن مراد وأفكاره، كان قلب ليلى يحترق.

كانت في غرفتها، جالسة على حافة سريرها، عيونها غارقة في الفراغ، تبحث عن إجابة بين جدران تلك الغرفة.

لم تستطع أن تبتعد عن كل تلك الأسئلة التي كانت تدور في رأسها، كل كلمة قالها، وكل لحظة بينهما.

كيف لم تستطع أن تفهم؟ كيف جعلته يبتعد هكذا دون أن تعلم السبب؟

مرت ساعات طويلة، لكن لم يكن هناك أي شفاء لما تشعر به.

كان ألمها يزداد، وعقلها يتنفس غرقًا في ماضٍ لا يمكن الهروب منه.

أخذت نفسًا عميقًا، ثم نظرت إلى هاتفها.

لم يكن هناك رسالة جديدة منه.

لم يكن هناك أي اتصال.

وكل شيء بدأ ينهار بداخلها.

أخذت هاتفها وألقت به بعيدًا، لكن ذلك لم يكن ليخفف من الحزن الذي كان يكاد يفتك بها. كانت يديها ترتجفان، وكان قلبها يصرخ، يريد أن يفهم: لماذا؟ لماذا لم يعودا معًا؟ لماذا اختار البُعد؟

ثم، في لحظة، كأن هموم العالم بأسره قد اجتمعت على قلبها، بدأ الألم يطفو على سطح قلبها، وبدون تحذير، بدأت دموعها تنهمر بغزارة، وهي لا تملك اي سلطة عليها.

كانت دموعها تتساقط على وسادتها كالأمطار الغزيرة، تغرقها في بحرٍ من الحزن، والعجز.

كانت تعرف أنها لا تستطيع العودة إلى الوراء، وأن هذا المسار الذي سلكته لم يكن يحمل في النهاية السعيدة التي كانت تنتظرها.

كان قلبها يصرخ، لكن الكلمات كانت عميقة، ضاعت في بحرٍ من الأسئلة التي لا مجيب لها.

وتلك اللحظة، تلك اللحظة التي انهارت فيها، كانت كالموت الصغير داخلها، حينها تحطمت الجدران التي كانت تحاول بناءها حول قلبها.

كانت تقف في منتصف الطريق بين ما تريده وما تفعله، ولكنها كانت تشعر بأنها قد ضاعت تمامًا.

وفي قلبها، كانت تعرف، دون أن تقدر على التحدث بها، أن مراد كان هو الجواب الذي ظلت تبحث عنه في كل تلك السنوات، لكنه، الآن، أصبح سؤالًا لا جواب له.

في تلك اللحظة، جلس مراد في شرفة منزله، التي كانت تطل على المدينة بأضوائها الباهتة، تنساب منها نسائم الليل الباردة.

كان يراقب السماء، حين تلتقي النجوم مع ظلام الليل، تبدو وكأنها تمثل كل ما تبقى من أحلامه، مبعثرة، بعيدة عن متناول يده.

كان يحمل كوبًا فارغًا من القهوة، فتركه جانبًا، وأغمض عينيه، ليغرق في تلك اللحظة الأخيرة من التأمل.

كان يعلم في أعماق قلبه أن صفحة جديدة قد طويت، وأن الحياة ستستمر من دونهما معًا، رغم كل شيء.

لقد فعل ما كان في وسعه، لكن في النهاية، لم يكن كافيًا، ولم يكن الزمن معهم.

وفي اليوم التالي، بينما كانت ليلى تحاول التكيف مع الواقع الجديد، رن الهاتف فجأة.

كان صوت إسراء، صديقتها المخلصة، بدات متوترًا، وصوتها مليئًا بشيء من القلق الذي لا يُخفى.

«ليلى، لقد تعرضت لحادث، وأنا بحاجة إليكِ.»

في تلك اللحظة، كان قلب ليلى يضرب بعنف في صدرها. الخوف كان يتسرب إليها، فأسرع فضولها وجعلها تسأل بسرعة، محاولًة الحفاظ على هدوئها وسط الفوضى التي تجتاحها:

«أين أنتِ الآن، يا إسراء؟»

أجابتها إسراء بصوت متقطع:

«أنا في حديقة الورود القديمة، بالقرب من الشجرة الكبيرة. أرجوكِ، أسرعي!»

تحركت ليلى مسرعة، وتعثرت خطواتها بينما كانت تندفع إلى المكان، يملؤها قلق غير مسبوق.

عيونها تبحث في كل زاوية، وصوت قلبها يعلو في أذنيها.

حين وصلت إلى الحديقة، بدأ قلبها يتسارع، وعيناها تمسحان المكان كله.

لكن لم تجد إسراء، ولا أثر لها في أي مكان.

توقفت، متكئة على جذع شجرة كبيرة، تنظر حولها بحيرة، وتساءلت عن سبب هذا الهدوء الغريب.

حاولت الاتصال بإسراء مرة أخرى، لكن هاتفها لم يكن يجيب.

شعرت بشيء من القلق يراودها، وفجأة، شعرت بأن هناك يدًا تضع نفسها على كتفها برفق.

تجمدت في مكانها، وعندما التفتت، كان مراد هو من يقف خلفها، عينيه مليئة بالحزن والندم.

كانت الدهشة تملأ قلبها، وكان وجهه المألوف، الذي لطالما أحبته، يبدو غريبًا في تلك اللحظة، كانت صدمتها أكبر من أن تتحملها.

حاولت الابتعاد، خطواتها مترددة، كانت تبحث عن مخرج.

«ماذا تفعل هنا؟»

حاولت أن تتركه وتذهب، لكن مراد أمسك بها برفق، لم يسمح لها بالهرب.

وفي تلك اللحظة، انحنى على ركبتيه أمامها، حينها غاب العالم من حولهم، توقف الوقت لحظة واحدة بينهما.

أخرج من جيبه خاتمًا لامعًا، ورفعه نحوها برقة، ثم نظر إلى عينيها وقال، كلماه مليئة بالحب، والألم:

«ليلى، لم أحب أحدًا في حياتي كما أحببتكِ. لم أكن أستطيع أن أعيش دونكِ. كل لحظة غبتِ فيها عني كانت كالعمر بأسره. أرجوكِ، عودي إلى قلبي، دعي الحب يعود إلينا كما كان. هل ستقبلين بأن تكوني جزءًا من حياتي مرة أخرى؟»

كانت ليلى عاجزة عن الرد، عيونها مليئة بالعواطف المتضاربة.

شعرت بأن قلبها يسير في اتجاهين متناقضين، وعقليها ينشطر بين الماضي والحاضر. وعندما نظرت إلى مراد، كان هناك شيء في عينيه يجعلها تشعر بالأمان، يجعلها تستعيد تلك اللحظات الجميلة التي ضاعت.

لكن، في لحظة مفاجئة، تحركت عواطفها بشكل لا يمكن مقاومتها، فمدت يديها، واحتضنته بحنان، وكأنها تطمئن نفسها وتخبر قلبها بأنها قد وجدت طريق العودة.

بينما كانت في حضنه، سمعت صوتًا يقترب منها، صوتًا كان يملأ الجو بتصفيق حار. وعندما نظرت، اكتشفت أن إسراء كانت تقف بجانبها، ومعها أصدقاؤهم، جميعهم يبتسمون ويصفقون، كانوا ينتظرون هذه اللحظة، لحظة اتحاد الحب والصدق.

ابتسمت ليلى، وكانت الدموع تلمع في عينيها.

وفي قلبهما، كانت تكبر قصة جديدة، قصة لم تكن لتكتمل لولا تلك اللحظة التي التقت فيها مع مراد على ضفاف النيل.

كانت البداية الحقيقية لحياة جديدة، حيث الحب لم يكن مجرد شعور، بل كان خيارًا، كان قرارًا.

وبينما كانا يسيران معًا، كان الهدوء يلفهم، كان هذا هو السلام الذي طالما بحثا عنه، السلام الذي لم يجدا له مكانًا سوى مع بعضهما البعض.

تمت بحمد الله

في حافة الطريق

في حافة الطريق

الحافة ليست نهاية الطريق، بل هي بداية استكشاف أعماق جديدة من داخلنا، بداية لإعادة بناء ما تهدم، بداية لفهم أن كل نهاية هي في الحقيقة مجرد بداية جديدة. قد لا يكون الطريق واضح في البداية، لكن مع كل خطوة نخطوها نحو المجهول، نكتشف المزيد عن أنفسنا. نكتشف قوتنا التي لم نكن نعلم بوجودها، ونعرف أن الاستمرار هو السبيل الوحيد للوصول إلى مكان لم نتخيله بعد.

إذا كنت قد وصلت إلى الحافة ولم تجد نفسك، لا تيأس، فالحافة هي فقط بداية لرحلة لا نهائية نحو التغيير. قد يكون الألم الذي تشعر به الآن هو علامة على بداية جديدة، قد يكون صراعك هو الطريق الذي سيوصلك إلى أفضل نسخة من نفسك. وأنت وحدك من يملك القدرة على اتخاذ الخطوة التالية.

هذه الكلمات أوجهها إلى أولئك الذين وصلوا إلى هذه النقطة من الحياة ولم يجدوا أنفسهم بعد. إلى من ظنوا أن الجدران قد أغلقت حولهم، وأن الظلام قد طغى على كل ضوء. لا تستسلموا. فالحياة لا تتوقف عند الحافة، بل تبدأ منها، حيث تتجدد الفرص وتتجلى الآمال. ابحثوا عن القوة التي تقودكم إلى داخل أنفسكم، ففي أعماقكم هناك مفتاح للمستقبل الذي يستحقكم.

إذا وصلت إلى الحافة وكنت ترغب في التواصل معي بشأن أي شيء، أو حتى إذا كنت تريد إضافة تعقيب على القصة، فلا تتردد أبدًا في ذلك. سأكون سعيدًا بسماع رأيك أو مساعدتك فيما تحتاج.

يمكنك مراسلتي عبر بريدي الإلكتروني:

abie40842@gmail.com

أو يمكنك العثور عليّ على فيسبوك باسم "Ahmed Wagdy"

أو على إنستجرام "ahmedwagdy05".

لقد وفرت لك أكثر من وسيلة للتواصل، فلا تتردد أبدًا في التواصل معي.